كان النبي جابراً للخواطر حتى مع العاصي أو المخالف

كم نحن بحاجةٍ إلى اليد الحانية الّتي تمتدّ إلى صدور شبابنا فتخلّصهم من أدران الشّهوات ومن أوضار الشّبهات، فتجبر بخاطرهم وتردّهم إلى الصّواب، كما جبر الحبيب بخاطر الشّابّ الّذي جاء وغريزة الفاحشة تثور في صدره. عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ فَتىً شَابّاً أَتَى النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ، مَهْ، فَقَالَ: (ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً)، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: (أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟) قَالَ: لَا، وَاللهَّ جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟) قَالَ: لَا، وَاللهَّ يَا رَسُولَ اللهَّ جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟) قَالَ: لَا، وَاللهَّ جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟) قَالَ: لَا، وَاللهَّ جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟) قَالَ: لَا، وَاللهَّ جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ، قَالَ:

(وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ)، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ)، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

لقد عالجه الحبيب المصطفى بمعالجة المحاكمة العقليّة، أترضاه...؟ ثّم وضع يده الحانية على صدره؛ مستلًّا بها سخيمة صدره، حتّى خرج وما شيءٌ أبغض عليه من الفاحشة، بالله عليكم أيّ جبرٍ للخاطر أعظم من أن تمدّ يدك لشاردٍ عن باب الله فتأتي به مطواعاً إلى رحاب الله تعالى؟!

عندما يكون الإنسان على حافة الانهيار يحتاج إلى الحنان والرفق واللين أكثر من اللوم والعتاب كما فعل رسول الله ﷺ.

فأين نحن من هذه الحكمة وهذه الرحمة والشفقة على العاصي التائه الذي لم يرشد ولم يوجه ولم ينصح فلابد أن نكون له من الناصحين برفق ولين فما كان الرفق في شئ إلا زانه وما كانت الشدة في شئ إلا زانه .كما النبي ﷺ.

بل والله وصل جبر الخواطر والرحمة عند النبي حتى شمل الحيوانات والطيور، بل حتى وصلت رحمته بالجمادات، وهذا عجيب، فحقاً وصدقاً إن نبينا محمد هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة.

أخبر ربنا بذلك فقال الله عنه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [٢٨]

رحمته _ ﷺ _ بالبهائم التي لا تعقل، فكان يحثّ الناس على الرفق بها، وعدم تحميلها ما لا تطيق، دخل النبي _ ﷺ _ ذات مرة بستاناً لرجل من الأنصار، فإذا فيه جَمَل، فلما رأى الجملُ النبيَّ _ ﷺ _ ذرفت عيناه، فأتاه رسول الله _ ﷺ _ فمسح عليه حتى سكن، فقال: (لمن هذا الجمل؟) فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله، فقال له: (أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؛ فإنه شكا لي أنك تجيعه وتتعبه) رواه أبو داوود.

رحمته _ ﷺ _ بالطير:

يقولُ عبدُ الله بنُ مسعودٍ _رضي الله عنه_: "كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ فانْطَلَق لحاجتِه"، _أي تَرَكَ المسيرَ لقضاءِ حاجتِه_ "فرَأَينا حُمَّرةً"، وهو طائرٌ صغيرٌ يُشْبِه العُصفورَ، "معَها فَرْخانِ فأَخَذْنا فَرْخَيْها"، _والفَرْخُ هو الصَّغيرُ مِنْ أولادِ الطَّيْر_، "فجاءتُ الحُمَّرةُ فجَعَلتْ تُفرِّشُ"، _أي

[28] الأنبياء: ١٠٧

تَطيرُ وتُرفْرِفُ فزعًا_؛ لفَقْدِ فَرْخَيْها وصَغِيرَيْها، "فجاء النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: مَنْ فَجَعَ هذه بولَدِها؟" _أي مَنْ أَحْزَنَها وخوَّفَها بأَخْذِ صِغارِها؟_ "رُدُّوا ولَدَها إليها"، _أي وأَمَرَ ﷺ بردِّ الصِّغارِ إليها_، وهذا مِنْ رحمتِه _ﷺ_والله رحمته ﷺ وسلم يعجز عنها البشر .